回族风物传说故事

（阿文版）

北京天阅经典文化有限公司

تقديم الناشر

إن الأدب الشعبي بمثابة تاريخ شفهي لأى قومية، حيث أثرت الحكايات الشعبية لقومية هوى فى تكوين مسيرة هذه القومية وتطورها، وقدمت لنا طبيعة التبادل والتمازج بينها وبين قومية هان والقوميات الصينية الأخرى. فمنذ الجلسة الثالثة للدورة الحادية عشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، وتماشيًا مع إحياء أدب القوميات الأقلية، بذل الباحثون فى أدب قومية هوى جهداً غير منقطع فى جمع الحكايات الشعبية لقومية هوى المنتشرة بشكل واسع فى كل ربوع القومية. ومن ثمار هذا الجهد جاء نشر هذه الحكايات ليكمل نقصا كان موجودا لعدم توافر مجموعة خاصة بالحكايات الشعبية لقومية هوى ؛ كما وضع أساسا لا بأس به للدراسات الخاصة بأدب قومية هوى و الدراسات التاريخية والدراسات حول عادات وتقاليد الشعوب .

وبمناسبة الاحتفال بمرور 50 عاما على تأسيس منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ، قامت دار الشعب للنشر بمنطقة نينغشيا بمراجعة كتاب (ابريق الوضوء الذهبي--- سلسلة الحكايات الشعبية لقومية هوى) الذى نشر عام 1999 واعتبرته مصدرا مهما لإعداد كتاب (الحكايات الشعبية عند قومية هوى)، وأصدرت دار الشعب للنشر بمنطقة نينغشيا الطبعة الأولى منه عام 2009. وبعد عام ونصف وتدعيما لبناء الريف الاشتراكي الجديد، وتماشيًا مع ما يعرف بـ"مكتبة لكل بيت ريفى" و" مكتبة لكل المنطقة السكنية" و"أنشطة المطالعة لكل الشعب" وغيرها من المشاريع الثقافية الوطنية، أعدنا طباعة أجزاء من كتاب (الحكايات الشعبية عند قومية هوى) وأصدرنا عدة كتب بعنوان (حكايات الأساطير الإبداعية لقومية هوى)، و(حكايات الشخصيات التاريخية لقومية هوى)، و(حكايات عن عادات قومية هوى وتقاليدها)،

و(حكايات الشخصيات العبقرية لقومية هوى)، و(حكايات الحب الشعبية عند قومية هوى)، و(حكايات العادات والتقاليد الحياتية لقومية هوى)، و(الحكايات الشعبية للحيوانات الموجودة فى قومية هوى). وتتألف هذه الحكايات الشعبية من موضوعات مختلفة على أجزاء، وتتسم بالمضمون الثرى السهل البسيط الذى يحرك المشاعر، ويظهر لنا الطبيعة السمحة والنية الصادقة والنفس النقية والأخلاق النبيلة للمسلمين فى قومية هوى، ويقدم مادة ثرية مناسبة ليطالعها أهل قومية هوى، وقومية هان والأقليات القومية الأخرى.

تعد الحكايات الشعبية لقومية هوى جزءاً لا يتجزأ من نسيج الأمة الصينية، فقد خرجت من الشعب لتعبر عن السمات الشعبية الخيرة البسيطة لقومية هوى التى يتوارثها جيل بعد جيل، فهى مفعمة بعبق الأرض، وتحمل بين طياتها نكهة العراقة و الأصالة ... ونتمنى لهذا الكتاب أن يكون نافذة طيبة يتعرف الناس من خلالها على قومية هوى.

لجنة التحرير

مقدمة

وانغ جينغ واي

عندما عدت من زيارتي لليابان وكوريا الجنوبية وجدت علي المنضدة نسخة من كتاب "الحكايات الشعبية عند قومية هوى " الصادر عن دار الشعب للنشر بمنطقة نينغشيا. أرسلته إلي السيدة خارواخوي نائبة مدير الدار ومعه خطاب منها.بعد أن قرأت الخطاب طالعت بعضا من الكتاب فشعرت بالألفة والحميمية ومر أمام عيني شريط ذكريات عمره سبعة وعشرين عاما حينما كنت أنا والسيد لي شو جيانغ نعد كتاب "مختارات من الحكايات الشعبية عند قومية هوى ".

ففي مارس 1978 التحقت بقسم اللغة الصينية بجامعة نينغشيا وكان السيد لي شو جيانغ أستاذي وصديقا كالأخ في الوقت نفسه. وكنا كثيرا ما نتكلم في تطور أدب قومية هوى، وطرحنا العديد من الأفكار والخطط العملية. قد كان السيد لي شو جيانغ- وهو أخ أكبر من قومية هان- مفعما بالمشاعر لقومية هوى عاشقا لآدابها مثابرا علي الحفاظ عليه الأمر الذي أثر فينا بعمق وكنا بتأثير منه وعلي هديه نستغل الأجازة الصيفية من كل عام في جمع وتنقيح قصص وحكايات قومية هوى الشعبية.

وفي مايو 1979وبعد أن نشرت حكاية "منصور" التي قمت بتنقيحها في ملحق" جريدة نينغشيا اليومية" أثارت اهتمام الكثيرين ، ثم تم تحويلها بعد ذلك إلي مسرحية تحمل اسم "رقصة الزهرة" وشاركت في مهرجان فنون القوميات الأقلية بالصين , أحدثت هذه القصة أثرا واسعا في البلاد كلها. في ذلك الحين كانت الجلسة الثالثة للدورة الحادية عشرة للجنة المركزية للحزب

الشيوعي الصيني قد بدأت لتوها ولم تكن أفكار الناس قد تحررت بعد، ولا تزال هناك قيود كثيرة. كان البحث في الحكايات والأساطير الشعبية لقومية هوى قليلا وتحتاج من يمد لها يدا. فنادينا بحماس أنا والسيد لي شو جيانغ –وبدأنا بأنفسنا- بتنقيحها. وبلغ ما قمت بتنقيحه وتم نشره من تلك الحكايات الشعبية عدة عشرات, منها ما اختارته دار الأدب الشعبي للنشر وضمنته كتاب "مختارات من الحكايات الشعبية الصينية ".

وفي عام 1981 كانت دار الفنون والآداب للنشر بشنغهاي تستعد لنشر موسوعة ضخمة من القصص . وسوف تنشر مجمعة مستقلة تضم (مختارات من الحكايات الشعبية عند قومية هوى)، أرسلت لنا أنا و السيد لي شو جيانغ دار النشر هذه تصورا للعمل و دعتنا لإعداد كتاب (مختارات من الحكايات الشعبية عند قومية هوى) . وسيعد أول مجموعة قصص شعبي لقومية هوى في الصين . دبت فينا الحماسة بمجرد أن تسلمنا خطاب التكليف بالعمل .واصلنا العمل عدة ليال حتى خرجنا بخطة العمل، و في الوقت المحدد كنا قد قطعنا شوطا كبيرا في جمع النصوص الشعبية و تصنيفها . و تم تنقيح النصوص حسب متطلبات الأدب الشعبي؛ أي أحكمنا النواحي القومية والدينية و اللغوية أيضا . قام كل منا على حدا بمراجعة النصوص نصا نصا ، كما أن بعض النواحي التي تميزت بالحساسية توجهنا بها خصيصا للرفاق في الجمعية الإسلامية منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى للتحقق منها و إجازتها .

وفى عام 1982 نشرت دار الفنون والآداب للنشر بشنغهاي رسميا (مختارات من الحكايات الشعبية عند قومية هوى) .أكمل هذا الكتاب نقصا كان موجودا لعدم توافر مجموعة خاصة بالقصص الشعبي لقومية هوى ؛ كما وضع أساسا لا بأس به للدراسات الخاصة بأدب قومية هوى و الدراسات التاريخية والدراسات حول عادات وتقاليد الشعوب .

وفى عام 1984نشرت دار داوانغ للنشر بتايوان هذا العمل فى جزأين بالرموز الصينية القديمة . و بعد ذلك طبعت عدة كتب تتناول الحكايات الشعبية لقومية هوى و الأساطير الشعبية اتخذت من هذه المجموعة أساسا لها و أضافوا إليها بعض النصوص التي تم تنقيحها .

يعد هذا الكتاب ميراث ثقافي ثمين لقومية هوى ، و عندما أعود بالذاكرة لما قمنا به من عمل و ما قد يكون قد شابه من قصور , لكنه يبدو لي اليوم – في اعتقادي - عمل ذو مغزى عظيم أثار شهية الآخرين للعمل في نفس المجال . فدفع شباب أكثر من قومية هوى نحو حب مثل هذه الأعمال وعدد أكبر من الشيوخ والشباب من قومية هان للانخراط في فرق عمل لدراسة أدب قومية هوى ؛ كما أسهم إسهاما ايجابيا فى توحيد الكفاح المشترك والتطوير والازدهار المشترك لكل القوميات . أنتهز فرصة الطبعة الثانية لكتاب (الحكايات الشعبية عند قومية هوى) لأشكر السيد لي شو جيانغ لإسهامه الكبير في قضية أدب قومية هوى و أشكر دار الشعب للنشر بمنطقة نينغشيا على نشرها المجموعة الرائعة ذات الطابع الإسلامي لقومية هوى .

5 \ 12 \ 2008

الفهرس

أسطورة النهر الأصفر.....1
مدينة العنقاء.....4
بحيرة نور اللبن.....11
حكاية هضبة الجمل.....14
أسطورة جبل بوقودا.....15
برج الكنوز البحرية.....20
قصص قنينة المياه.....23
معبر الرمال الصفراء.....25
الإمبراطور كانغشي يغير مجرى النهر.....27
قصة منطقة المياه الصحية.....29
لماذا جبل ليوبانشان غنيّ بالأدوية العشبية.....31
أصل إلصاق رسوم إبريق الشاي بشكل مائل.....34
الأمير المسلم والقنبرة.....37
زقاق تربية الابن.....39
الأجانب يسرقون الحصان.....41
نهر الماء الزلال.....44

تنين عرق السوس السحري 47
أخت الزيتون البري 51
ركائز زهور اللوتس بمسجد آهتشنغ 55
الراهب البوذي بوجي والإمام..... 56
الذرة الرفيعة في قرية وانغ تاي 58
وادي الشيح..... 61

أسطورة النهر الأصفر

يقال في قديم الزمان إن النهر الأصفر كان كحصان بري غير أليف يركض ويجري هنا وهناك كالغول المفترس، ويصرخ ليلا ونهارا، ويلتهم عشرات آلاف الهكتارات من الأراضي الخصبة ويقضم آلاف الجبال، ولم يكن السكان على جانبي النهر الأصفر من قوميتي هوي وهان قادرين على العيش بغير الزراعة البدائية الشاقة التي كانوا يمارسونها مختبئين عاليا عند قمم الجبال أو في التحت عند قواع الأودية.

في ذلك الوقت لم تكن منطقة نينغشيا سهلا منبسطا كما هي اليوم، بل كانت منطقة تتشابك فيها الجبال الشاهقة وتتقاطع الأنهار والأودية، ولم يكن فيها حقل زراعة منبسط أو حقل يمكن ريه بمياه النهر الأصفر.

ويحكى أنه كانت عدة أسر من قوميات هوي وهان تسكن على قمة جبل رأس البقر، تنقل يوميا المياه من أسفل الجبل لتستعملها في الري في أعلى القمة، وكان هذا حالهم صغارا وكبارا طوال السنة، لكنهم لم يكونوا قادرين على كسب قوت يشبع جوعهم و ملابس تقيهم البرد.

وكان هناك مسلم مسن يبلغ من العمر أكثر من سبعين عاما واسمه رياض، كان الشيخ رياض صاحب بستان للخضروات والفواكه على قمة الجبل، وكان يزرع فيه الخيار. كان يعمل منذ الفجر حتى المساء يوميا ليجلب المياه من النهر الأصفر لري الخيار غير مبال بتورم كتفيه ورجليه، كل همه كاه العناية بالخيار الذي كان ينمو بصورة جيدة ويصبح ناعما ولذيذا.

وذات يوم أحس رياض ببعض التعب من العمل، فاستلقى أمام باب البستان ونام نوما عميقا، وحلم بسحاب أبيض يتجه نحوه ثم يتحول تدريجيا إلى شيخ ذي لحية بيضاء ناصعة، وقال لرياض " ستهب الرياح اليوم مرتين

، وعليك أن تستعد. ريح الظهر ستكون الريح الصفراء التي يمكنها أن تذبل الخيار، وبعد الظهر ستكون ريح أخرى يمكنها أن تسقط الخيار. ولكن مهما كانت شدة الرياح، لا تقطف الخيار."

استيقظ رياض من النوم مضطربا والتفت يمنة ويسرة، لكنه لم يجد الشيخ ذي اللحية البيضاء، وإذ بريح صفراء من الشمال تغطي السماء والأرض وتهب باتجاه جبل رأس البقر. التفت رياض ليرى خياره فوجده كما قال الشيخ في الحلم قد ذبل كله. حزن السيد رياض حزنا شديدا لأنه لم يجن ثمرة واحدة بعد تعب عام كامل. وانتابته رغبة بإلقاء كل هذا الخيار الذابل إلى النهر الأصفر إلا أنه تذكر كلام الشيخ منذ قليل، فعدل عن فكرته.

وبعد الظهر هبت ريح أخرى سوداء، كانت تهز الأرض والجبال وتسقط أوراق الأشجار التي كانت تتراكم طبقة فوق طبقة. نظر السيد رياض إلى الخيار، فوجده قد أوشك على السقوط، غضب غضبا شديدا وقطف حبة خيار ذابلة صغيرة ورمى بها إلى النهر الأصفر. في هذه اللحظة لاحظ السيد رياض أن مياه النهر توقفت عن التدفق في بقعة منه كأنما لو كان قد قطع بسكين، بحيث تمكن السيد رياض من رؤية قاع النهر بوضوح، لكن ما إن ركض إليه حتى عادت المياه بالتدفق من جديد في هذه البقعة.

جلس السيد رياض على شاطئ النهر جائعا ومتعبا، حتى أنه أحس بالدوار وأصبح لا يعرف ما جرى حوله.

في هذه الأثناء سمع السيد رياض صوب ذلك الشيخ ذي اللحية البيضاء مرة ثانية الإمام، قال الشيخ " إن هذا الخيار هو مفتاح قهر النهر الأصفر، يمكنه أن يجعل النهر الأصفر يتوقف عن التدفق، كما يمكنه جعله مطيعا للإنسان. لكن النهر الأصفر الآن يُعذب على يدي الشيطانين الريح الصفراء والريح السوداء. لا تستعجل، عليك أن تصبر وتبذل جهدا أكثر. وفي السنة القادمة، ازرع بستانا جديدا من الخيار، وعندما ينضج الخيار اختر أكبر حبة

وارم بها إلى النهر الأصفر. ثم أدخل الكهف الموجود في قاع النهر، وخذ ما تشاء من المجوهرات و البذور التي تحبها. كما ستجد فيه سيفا يمكنك أن تقتل به التنين أو الإبليس وتروض به النهر الأصفر.

وفي السنة الثانية زرع رياض المجتهد بستانا جديدا من الخيار، وكان يحمل المياه من النهر الأصفر لري الخيار ولا يهتم كعادته للمسافة البعيدة ولا التعب. وأخيرا كللت جهوده المضنية ببستان من الخيار الناضج، وكانت أكبر خيارة فيه بطول متر وعلى شكل مفتاح. سر السيد رياض أيما سرور، وصار يبيت في البستان منتظرا نضج هذه الخيارة.

وذات يوم عندما كان الجو منعشا والسماء صافية، قطف السيد رياض هذه الخيارة الطويلة وبسمل ثم رماها إلى النهر الأصفر. وفي تلك الآونة سمع هدير النهر الأصفر أولا ثم انشق النهر وظهر شق طويل أظهر كل الصخور في القاع بالكامل. نزل رياض إلى قاع النهر فوجد كهفا وعندما دخله وجده يعج باللؤلؤ والعقيق وغيرها من المجوهرات. أخذ السيد رياض بعضها وخرج من الكهف فإذ بالرياح الشديدة تعصف مما يجعل النهر يموج بشدة. أخذ السيد رياض السيف وأخذ يتصارع مع الرياح السوداء والصفراء ثم هزمها ففرت بعيدا في السماء.

في هذه الأثناء بدأ شق النهر يختفي والمياه النهر تعود من جديد للتدفق، فتذكر حينها رياض وصية الشيخ ذي اللحية البيضاء وهي أن هذا السيف يستطيع قهر وترويض النهر الأصفر، ففكر لم لا آمر النهر الأصفر بردم الأخدود والأودية وقطع الجبال والمرتفعات." فأمسك بالسيف وواجه به النهر الأصفر، فتوقفت مياه النهر في الحال عن التدفق كما لو كان هناك سور عال أمامها لكن منسوب المياه كان يرتفع ويبدو مروعا جدا لو شوهد من بعيد.

وبعد ثلاثة أيام، أصبحت المنطقة التي تمتد من جبل ليو بان شان جنوبا حتى جبل خهلانشان شمالا مغمورة بالمياه عدا بضع قمم مرتفعة. في هذا

الوقت، سحب السيد رياض السيف وسمح لمياه النهر الأصفر بالجريان.

ومنذ ذلك الحين، تغيرت التركيبة الجغرافية لمنطقة نينغشيا، حيث بعد أن كانت مليئة بالجبال الشاهقة والأخاديد العميقة أصبحت سهلا مترامي الأطراف وأصبح السكان من قوميتي هوي وهان على ضفتي النهر الأصفر ينشؤون القنوات والحقول وينعمون بحياة سعيدة.

منتشرة في المناطق الجبلية جنوب منطقة نينغشيا
الجمع والتنقيح: وانغ جنغ وي
مقتبسة من ((القصص الشعبية تونغشين))(1988)

مدينة العنقاء

يقال إنه في قديم الزمان كانت مدينة ينتشوان تسمى مدينة العنقاء. عند الحديث عن مدينة العنقاء قد يشير بعض المسنين إلى أطراف المدينة قائلين "إن معبد قاوتاي خارج البوابة الشرقية هو رأس العنقاء الذي يقترب من النهر الأصفر، والبئران قرب معبد قاوتاي هما عينا للعنقاء، وبرج الطبل في وسط المدينة هو قلب العنقاء، والبرج الغربي والبرج الشمالي هما مخلبا العنقاء، وحديقة جونغشيان حيث الأزهار والأعشاب والأشجار الخضراء الوافرة هي ذيل العنقاء، ويقال إن ذيل العنقاء كان يمتد حتى جبل خهلانشان في ذلك الوقت."

لكن لماذا يطلق على المدينة "مدينة العنقاء"؟ إنه ذلك يعود إلى قصة

قديمة. هل تعرفون طائر العنقاء؟ طائر العنقاء هو طائر السعادة، فأينما وجد طائر العنقاء وجدت السعادة. يحكى أن أسرة العنقاء كان فيها سبع أخوات يعشن على جبل شاهق جنوب نهر اليانغتسي ودائما ما كن يجلبن السعادة والخير للإنسان، وهو ما جعل جنوب نهر اليانغتسي جميلا جدا حيث ترامت على جنباته الجبال بحلتها الخضراء والمياه العذبة وغطت الأزهار العطرة الأراضي وانتشرت ظلال الأشجار زاهية الخضرة هنا وهناك، مما جعل الناس يتمتعون في بصحة جيدة وقوة وجمال. كما كانوا يجنون سنويا حصادا كبيرا في جميع المحاصيل ويعيشون حياة سعيدة لا مكان فيها للقلق ولا الضيق.

أما منطقة نينغشيا في ذلك الوقت فكانت تنتشر فيها الأراضي البور والفقر. وعلى الرغم من وجود النهر الأصفر شرقا إلا أن مياهه كانت ضحلة ولم تكن تتجاوز ارتفاع منسوب مياه الشاطئ. أما في غربها فكان جبل خهلانشان وجنوبها جبل ليونبانشان، ولكنهما لم يكونا قارين على صد موجات البرد القارس التي كانت تجتاح المنطقة قادمة من سيبيريا ولا الرمال الصفراء القادمة من صحراء تينغكار. ورغم هذه الظروف الطبيعية الصعبة لم يتمكن اليأس من احتلال مكان له في قلوب قوميات هوي ومنغوليا وهان التي كانت تعيش هنا، وإنما زادتهم مثابرة وإصرارا على العمل في حقولهم علهم يغيروا شيئا، لكن جهودهم لم تكن ذات جدوى، فغنى هدا الشعب المسكين في حزن:

كم هذا النهر طويل
وكم هذه الجبال شاهقة
أراضي نينغشيا
بور موحشة ليست لها نهاية

كم هذا النهر طويل
وكم هذه الجبال شاهقة
أراضي نينغشيا
لا توفر للناس الأطعمة والملابس

وبعد انتشار قصة أخوات العنقاء السبع في نينغشيا، أصبح الجميع سواء من قومية هوي أو هان أو منغوليا يترقبون ويتطلعون كل يوم إلى مجيئ العنقاء إلى نينغشيا. عرف الوز البري بهذا الأمر فتأثر لحال الناس ورغبتهم في لقاء العنقاء، فبادر بالذهاب إلى الجنوب. وصل الوز البري بعد قطع مسافة شاقة إلى جنوب نهر اليانغتسي وقابل أخوات العنقاء وأخبرهن بكل ما حدث في نينغشيا وبشعور المودة الذي يكنه الشعب هناك لهن. تناقش الأخوات حول الأمر وقررت الأخت السابعة الصغرى الذهاب إلى نينغشيا رغم نصائح أخواتها بعدم الذهاب. ولكنهن في النهاية وافقنها لمعرفتهن بمزاج أختهن السابعة. انطلقت الأخت السابعة فورا. وحال رحيلها قدمت طيور الغابات لتوديعها وكان فيها من ينفخ على البوق والبعض الآخر يعزف على القيثار ويغني ويرقص كما جاء سكان جنوب نهر اليانغتسي إلى شاطئ النهر لتوديعها أيضا وأهدوها الكثير من الهدايا المتنوعة وحملوها هدايا أخرى لأخوتهم في منطقة نينغشيا من مختلف القوميات.

قامت الأخوات الست والقنبرة بإيصال العنقاء السابعة إلى الجانب الآخر لنهر يانغتسي ثم ودعت الأخت السابعة أصدقاءها وأقرباءها وطارت رفقة الوز البري مسرورة باتجاه نينغشيا. ركبت سحابا أحمر، ولم يمض إلا وقت قصير حتى وصلت إلى منطقة جبل ليوبانشان. عندما كانت الأخت السابعة تحلق فوق سحابتها الحمراء عاليا كان المسلمون في التحت يراقبونها

ويرددون "السلام" حيث أنهم كانوا يعتقدون أن السحاب الأحمر في السماء الزرقاء يرمز إلى وصول البركة. أما العنقاء فقد كانت مسرورة جدا وقد حطت عند شاطئ النهر الأصفر بين جبلي ليوبانشيان وخهلانشان.

وفي هذه الأثناء كانت ضفة النهر الأصفر مكتظة بالخيام والأكواخ الخشبية والمساكن المنغولية حيث أنها كانت تجمع المسلمين من قومية هوي الذين يؤمنون "بالهدى" وقومية هان الذين يؤمنون بـ"السماء" وقومية منغوليا الذين يؤمنون بـ"البوذا"، كانوا كلهم يضربون الصنوج والطبول ويرتدون أزياءهم القومية المتنوعة احتفاءا بقدوم العنقاء. كما جاءت الطيور من جبلي ليوبانشيان وخهلانشان وقدمت الأبقار والأغنام والإبل والخيول من السهل. وأخذ الجميع يغني ويرقص حتى أصبحت مياه النهر الأصفر ترقص وتغني هي الأخرى.

بعد وصول العنقاء إلى نينغشيا لم تسترح ولو للحظة بل طارت من مكان إلى آخر – " لم هذا السهل الواسع قد تشقق من شدة الجفاف؟" ثم التفتت إلى النهر الأصفر وبدأت ترسم خطوطا من هنا وهناك. بعد برهة تغيرت كل هذه الخطوط إلى قنوات مرتبطة بالنهر الأصفر وتجري فيها المياه العذبة.

في اليوم التالي عند الفجر واصلت الأخت السابعة طيرانها من مكان إلى آخر منهمكة في العمل حتى أنها لم تكن تجد الوقت لمسح عرقها. ثم قامت برمي هدايا أصدقائها من على جبل ليوبانشان وجبل خهلانشان وسهل ينتشوان. فنبتت للتو في مختلف أنحاء سهل ينتشوان أزهار وأعشاب وأشجار وتكاثرت المحاصيل والمزروعات وبدأت قطعان البقر والخيل والإبل والغنم تركض في المروج. لم يعد جبل ليوبانشيان حزينا كما كان فقد أصبحت لديه حلة جديدة خضراء وكذلك حال جبل خهلانشان فقد أصبح مسرورا هو أيضا وأصبح مزدانا بأشجار خضراء نضرة.

وهكذا تغيرت ملامح منطقة نينغشيا تماما وكان الجميع ممتنا للعنقاء

التي جلبت لهم السعادة ومنحت نينغشيا ملامح جنوب نهر اليانغتسي الجميل، وأصبحت منذ ذلك الحين تعرف بين الناس باسم "جنوب نهر اليانغتسي الجميل في الشمال".

وبعد توفر المياه التي كانت تجلبها القنوات لم تعد الحقول عطشى كما في الماضي، وأخذت المزروعات على اختلافها تنمو نموا جيدا. وأصبحت تحصل سنويا على حصاد وفير. ومن شدة السعادة والفرح أخذ الناس يرقصون ويغنون:

سهل نينغشيا، واسع ومنبسط،
النهر الأصفر في الشرق وجبل خهلانشان في الغرب،
وجبل ليوبانشان يقف في الجنوب،
نزرع ويحصد بفضل المياه العذبة.
.....

أصبحت جبال وسهول نينغشيا لا تقل جمالا عن جنوب نهر اليانغتسي. ففكرت العنقاء:" الأهالي هنا من قوميات هوي وهان ومنغوليا جميعهم مجتهدون وطيبون ونينغشيا الآن جميلة مثل جنوب نهر اليانغتسي فسأبقى هنا ولن أعود."

فاتخذت نينغشيا موطنا جديدا لها وأصبحت تعمل كل عام مع الآخرين في الغرس والزراعة باجتهاد وتربي الخيل والبقر والإبل والغنم بعناية.

وفي ذلك العصر كانت هناك قبيلة تسكن غرب نينغشيا. وذات سنة، قاد حكام هذه القبيلة جنودهم وهاجموا منطقة نينغشيا فأحرقوا كل المزروعات التي وجدوها وقتلوا كل شخص صادفوه. فغضبت العنقاء وحولت نفسها إلى مدينة لتحمي الناس. أغلقت بوابات المدينة فكان الأعداء لا يستطيعون

اختراقها مهما اعتمدوا من حيل وطرق وبعد ثلاثة أشهر من الهجمات المتواصلة نفد زاد العدو فانسحب وفر. ومنذ تلك الحادثة أصبح أهالي نينغشيا يحتمون بالمدينة عند قدوم العدو ويعملون في الزراعة وتربية المواشي.

وبعد أن أصبحت العنقاء مدينة، قامت بتكليف الوز البري بأن ينقل رسالة إلى أخواتها في جنوب نهر اليانغتسي يعلمهن فيها أنها تسلم عليهن وتبلغهن أنها قررت ألا تعود إلى الجنوب. وبعد ذلك أصبح الوز البري ساعيا يتنقل بين الجنوب والشمال كل عام، حيث يسافر كل خريف إلى الجنوب ويعود في ربيع السنة الثانية إلى العنقاء بأخبار الجنوب وشوق أخواتها الست إليها.

مضت سنوات كثيرة بعد ذلك، وظهر خلالها حكام ثم ملوك وأمراء حرب وملاكو أراضي... وغيروا ملامح جبال وسهول نينغشيا ,وجاروا في البلاد واضطهدوا عامة الناس، فأصبحت الجبال والسهول مقفرة وموحشة والأعشاب والأشجار جافة والبقر والغنم والإبل نحيفة ولم تعد السماء صافية كما كانت فوق جبلي ليوبانشيان وخهلانشان بسبب الحزن والألم.

وفي يوم من الأيام ، عين الإمبراطور حاكما عرف بأخلاقه السيئة وكان صاحب وجه مجدور. وحالما وصل إلى نينغشيا قام ببناء قصر في جنوب شرقي مدينة العنقاء، وكان يجند الناس سخرة ويستولي على ممتلكاتهم ويضطهدهم شر اضطهاد. ولما سمع أن في بحيرة الينبوع الأسود مهر من الذهب صمم على الاستيلاء عليه.

وذات ليلة كان يجلس في القصر ويفكر: أستطيع أن أكتم أمر سرقة المهر الذهبي عن الآخرين ولكن كيف أستطيع كتمه أكتمها عن العنقاء؟ فبعد وصول العنقاء إلى نينغشيا ظهر العديد من الفطنين وهم في تزايد متواصل وسيعرفون يوما ما أنني فعلت كل هذه الأعمال الشريرة، وقد لا أستطيع حتى الحفاظ على المهر الذهبي لو حصلت عليه. أخيرا قال المجدور " لا عمل